الفصل الرابع
أثر
الدراسات النفسية للطفل
فيما يقدم له من قصص

أدب الأطفال عالم كبير

إن أدب الأطفـــال جزء من الأدب بصفة عامة , لكن لـــه من الخصائص والسمات ما يميزه عن أدب الكبار , مـــن حيث مستويات التعبير , برغم كون الجمالية شرطا مهما في ذلك الأدب , وكذلك بالنسبة إلى طريقة معالجة القضايا خلال فنونه الأدبية المختلفة , كالتمثيلية والقصة والأنشودة وغيرها , وأيضا بالنظر إلى الجوانب الفكرية التي ينبغي أن نقدمها لأطفالنا .

اختلاف أدب الأطفال عن أدب الكبار :

فمن حيث مستويات التعبير فله خصائصه النوعية , التي تميزه عن أدب الكبار , والأمر هنا يتجاوز التبسيط والتيسـير , إلـــى تحقـــيق هـــذه الخصائص التعبيرية , كـــي يكون هذا الأدب ملائما للأطفال في مراحل عمرهم المختلفة المبكرة من ٣ : ٦ سنـــوات , والمتوسطة مـــن

٧ : ٩ سنوات ، والمتأخرة من ١٠ : ١٢ سنة ، من حيث طبيعة الجملة – قصرا وطولا ، ووضوح العلاقة بين أركانها واعتمادها على الاسمية أو الفعلية ، والروابط التي تربط بين هذه الجمل ، واستخدام علامات الترقيم بالكيفية التي تجعلها معينة على تجسيد المعنى وإيصاله إلى عقل هذا الطفل ، بل وطبيعة الكلمات المستخدمة من حيث عدد حروفها ، وتآزرها خلال الجمل وتكرير بعضها ، أو البدء ببعضها ، وقلة الجمل الاعتراضية التى تعوق فهمه ، وتتبعه للمعنى وتذوقه للنص ، وغير ذلك من جوانب الصياغة التي يجب أن تتآزر لتجلى النص الأدبي للطفل ، فى وحدة فنية تتجه إلى عقله ووجدانه ، فتشبع اهتماماته ، وتلبى احتياجاته ، وتحمل له من القيم والمبادئ ما نريد غرسها وتنميتها في أطفالنا ، لتحقيق السلوك السوي ، وبنائهم وتأهيلهم لما يناط بهم في مجتمعاتهم من مهام مستقبلية .

وهنا تبرز أهمية طريقة المعالجة للقضايا خلال فنون أدب الأطفال ، وبرغم أن التمثيلية والقصة والأنشودة ، وغيرها من فنون الأدب ، وسائل مهمة ،

لكن الاستفادة من نتائج الدراسات النفسية للأطفال سواء فيما يتعلق بالنمو أوالسلوك جديرة بالاعتبار ونحن نتصدى لكتابة هذه الفنون ، حتى يتحقق التلاؤم السوي المرجو بين الشكل الفني وعلاقاته ، والمرحلة السنية التي يقدم لها ؛ فعلى سبيل المثال قد تبنى القصة على علاقة واحدة بين طرفين ، فتكون ملائمة لمرحلة الطفولة المبكرة ، بينما لو تعقدت هذه العلاقة وتعددت أطرافها ، فقد لا تكون القصة مناسبة إلا لمرحلة الطفولة المتأخرة وهكذا .

وهنا يمكن أن نضرب مثلا بإحدى قصص الأطفال التي صدرت فى ملحق ": المختار الإسلامي " الذي صدر فى القاهرة ويتخذ له عنوانا : " زمزم " العدد ١٦٦ فى ١٥ صفر ١٤١٢ هـ ١٤ أغسطس ١٩٩٢ م . أما عنوان القصة فهو شهادة براءة يوسف (عليه السلام) لمؤلفها عماد الدين شرف ، وتشغل ثلاث صفحات من هذا الملحق من ص ١٦ : ص ١٨ ، ويرافقها صورة كبيرة لرأسي بقرتين ، إحداهما ضعيفة ، والأخرى قوية ، وكذلك صورة لسنبلتي قمح ، إحداهما هزيلة ،

والأخرى ممتلئة ، وهذه القصة مستمدة من قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) الواردة فى سورة يوسف فى القرآن الكريم ، كما أنها مزودة بعشر آيات من هذه السورة من الآية ٤٣ : ٥٣ وتقوم هذه القصة على ثلاث علاقات هى : علاقة يوسف بامرأة العزيز ، ثم علاقته عليه السلام بالفتيين اللذين دخلا معه السجن ، وأخيرا علاقته بالعزيز نفسه ، وبرغم أن هذه العلاقات يشكلها تاريخ القصة كما وردت فى القرآن الكريم ، لكنها هي التى جسدت الحدث وترابطه ، لينتهي بإثبات براءة يوسف (عليه السلام) فى هذه القصة الإسلامية .

مثل هذه القصة بتعدد علاقاتها على هذا النحو ، لا تناسب مرحلة الطفولة المبكرة ، لأن أطفال هذه المرحلة تركيزهم محدود ، واستيعابهم أقل بينما تعدد هذه العلاقات يحتاج إلى إدراك أقوى ، وتركيز أشد ، ومستوى من الاستيعاب أكبر ، لا يتحقق إلا لأطفال في نهاية مرحلة الطفولة المتوسطة ، ومرحلة الطفولة المتأخرة .

وكذلك فإن عدد الشخصيات فى القصة أو التمثيلية لابد أن يكون مناسبا لمستوى إدراك الطفل ، فكثرة الشخصيات مثلا قد لا تناسب مرحلة الطفولة المبكرة ، إذ تشتت اهتمامات ذلك الطفل .

بل هناك من الأهداف والغايات التى تحددها نتائج علم نفس الطفل ، كإشباع الإحساس بالفقد الذي يصاحب الطفل في نموه ، وهو يتأهب للاتصال بالآخرين فى دور الحضانة تاركا مؤقتا الوالدين ، هنا تكون القصة التي تعوض ذلك الإحساس بإبرازها مثلا لعلاقات الأصدقاء الأوفياء الأسوياء مشبعة لميل الطفل فى البحث عن البديل الذي قد يحتاج إليه ، عندما يكون خارج المنزل ، أو قد تتضمن القصة وجود ما يمكن أن يكون قد افتقده بطل القصة أو التمثيلية من مقتنيات ، هنا يشكل هذا الإيجاد والوصول إلى المفتقد شيئا من الراحة النفسية للطفل ، وكذلك فإن معاقبة المسيء ، ومكافأة المصيب ، يحقق العدل وهو مما يريح نفسية الطفل ، إذا أدرك ذلك خلال تمثيلية أو قصة .

وهكذا تسهم فنون أدب الطفل فى تكوينه التكوين النفسي السوي البعيد عن العقد والمشكلات ، التى يمكن أن تسبب الأمراض النفسية للطفل .

وجماليات الإيقاع من مزايا هذا الأدب كما في التكرير مثلا ، أو الأوزان القصيرة ، ومجزوءاتها التي يميل إليها الأطفال لسهولتها سماعا وحفظا في كل مراحلهم ، منذ نشأتهم حتى يصلوا إلى مرحلة الصبا ، وغير ذلك من وسائل الإيقاع المختلفة ، بل إن هذه النواحي الجمالية الإيقاعية لما يرقق مشاعر الأطفال ويملأ نفوسهم هدوءا وطمأنينة .

طبيعة الكتابة فى أدب الأطفال :

مماسبق ندرك أن أدب الأطفال فى صيغته المقروءة ، قد أثر فى أسلوب القصة والتمثيلية والأنشودة شكلا ومضمونا ، وهو مايؤكد فى الوقت نفسه أن الكتابة للأطفال ليست عملية سهلة ، لأنها لا تحتاج إلى الموهبة الفنية فحسب بل لابد من الاستفادة من نتائج العلوم والدراسات الإنسانية كعلم النفس ، وعلم

الاجتماع ، وعلم الجمال ، وغيرها ، كما تتطلب خبرة بالأطفال ومتغيرات حياتهم ، خاصة وأن الكبار هم الذين يكتبون لهؤلاء الأطفال ، وقد تجاوزوا هذه السن بمراحل زمنية طويلة .

فهناك مثلا من يزال لا يدرك أن مرحلة الطفولة تنقسم إلى ثلاث مراحل : المبكرة ، والمتوسطة ، والمتأخرة ، بل هناك من يمد مرحلة الطفولة خطأ إلى سن الخامسة عشرة ، وهذه المراحل العمرية المتباينة نفسيا وجسميا وتربويا وإدراكيا ، تستلزم التباين فيما يقدم لأطفال هذه المراحل من أدب وفكر ، حتى يلائمهم عقلياً ، ويشبع حاجاتهم النفسية ، فيقبلوا عليه بشغف وحب .

وهنا نؤكد على وجوب تحديد المرحلة السنية التي يناسبها هذا العمل الأدبي قصة أو تمثيلية أو أنشودة ما ، وغير ذلك ، بل يجب أن تحدد هذه المرحلة السنية على غلاف الكتاب الذى نخصصه لأطفالنا ، وذلك بخط واضح حتى يسهل على الآباء والمهتمين بأمر الطفل اختيار الكتاب المناسب له ، ليقرأه أو ليتصل به عن

طريق حكاية الآخرين له مثلا، أو ليقوم الأطفال بتمثيله ، أو يقوم الطفل نفسه بشرائه أو اختياره من مكتبة المدرسة أو غيرها من المكتبات خارج المدرسة .

أثر الرسوم والصور والألوان فى أدب الأطفال :

ومما يضاعف من فاعلية فنون أدب الطفل المختلفة اقترانها بالرسوم التوضيحية التى تساعد فى تجسيد الأفكار ، بعد أن تجتذب هذه الرسوم وتلك الصور الطفل بمكوناتها وألوانها ؛ وهذه الصور لابد أن تتناسب مع مراحل عمر الطفل ، فالصورة الكثيرة التفاصيل قد لا تناسب مرحلة الطفولة المبكرة ، ويصعب على إدراك طفل هذه المرحلة الوصول إلى مضمونها ، فلاتتحقق غايتها من اقترانها بالقصة التى ترتبط بها .

من هنا تتجلى أهمية الرسوم والصور والأشكال التوضيحية ، التى ترافق القصص والأناشيد أو عرض المسرحيات ، ووجوب رعاية مكوناتها وألوانها ، بل إن صورة جذابة بألوانها ورسومها ، وملائمة بعلاقات

مكوناتها للمرحلة التى تقدم لها ، عندما توضع على غلاف قصة ما مثلا ، قد تكون دافعة للطفل على الإقبال على قراءتها والاستفادة منها ، وتحقيق تأثيرها الفاعل فى عقله ووجدانه .

وهذا يؤدى بنا من ناحية أخرى إلى إدراك مدى خطورة أفلام الكرتون والرسوم المتحركة التى تقدمها الإذاعات المرئية لأطفالنا ، من حيث تأثيرها فيهم خاصة وكثير منها قد أعد لأطفال آخرين غير أطفالنا وبيئتهم غير بيئتنا ، ومعتقداتهم غير معتقداتنا ، لذلك فنحن نطمح فى وجود شركات عربية إسلامية يكتب لها مؤلفون يرعون ربهم ، ودينهم الإسلامي ، ولغتهم العربية ، وتأخذهم الغيرة على أطفالنا ، ومن تعاون وتآزر هؤلاء وأولئك سوف نجد بإذن الله ما يحقق ما نأمله ونرجوه من غايات وأهداف تبنى أطفالنا ، وتحفظ لهم دينهم ، ولغتهم ومعتقداتهم .

هل يتضمن تراثنا نماذج لأدب الأطفال ؟:

لاشك أن تراثنا يكاد يخلو من أدب الأطفال المكتوب ، لكن الذي لاشك فيه أيضا ، هو إدراك أسلافنا وأجدادنا أهمية مثل هذا النوع الأدبي للأطفال ، فكم من أمهات كن يسلين أطفالهن بالحكايات ، وكم من الأمهات كن ينمن أطفالهن على نغمات أصواتهن ، سواء اقترنت بكلمات موزونة أو مجرد أنغام متناسقة ، وكم من الآباء كانوا يقصون على أبنائهم الصغار .. بل على أفراد الأسرة جوانب من كفاحهم اليومي ، بل إن هناك من يرى أن هذه الفكرة الأخيرة قد لازمت الإنسان منذ نشأته .

هنا يتجلى لنا عظمة مسلك بعض سلفنا الصالح وهم يعنون بتأديب أطفالهم بالمؤدبين الذين يحفظونهم القرآن الكريم ، وقصائد الشعر الخفيفة الإيقاع ، وليست نصيحة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ببعيدة علينا ، وهو يوصى بتعليم الأبناء رواية الشعر والسباحة والرماية وركوب الخيل ، وغير ذلك من النماذج التى نجدها في تراثنا .

حقا إن أدب الأطفال متغير من أهم متغيرات حياتنا اليوم ، وإذا كان الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى من أوائل من اهتموا بذلك ، وهو يصدر مجلة " روضة المدارس " في القرن الماضي في مصر ، لكن الذي لاشك فيه أن المؤسسات التي تهتم بالطفل وما أكثرها على مستوى عالمنا العربي والإسلامي بل العالم كله ، قد جعلت أدب الطفل فى مقدمة ما تحرص على تقديمه له ، وذلك لما له من أثر فاعل فى نشأته نشأة صالحة سوية ، وهانحن أولاء نرى قمة هذه المؤسسات متمثلة فى إنشاء كليات رياض الأطفال التي تختص برعايتهم من حيث تخريج القادرين على رعاية هؤلاء الأطفال ، وتربيتهم وحسن اختيار ما يقدم لهم من أدب ومعارف .

بعض مشكلات أدب الأطفال :

وما أكثر المشكلات التي يواجهها أدب الأطفال اليوم ، فإحصائية بسيطة قديمة فى سنة ١٩٨٣ م تبين أن ما صدر من كتب للأطفال في أمريكا في هذا العام قد بلغ مائة ألف كتاب ، مقابل أربعة آلاف في عالمنا العربي ، وعدد أطفالهم لا يزيد كثيرا على عدد أطفالنا ،

ومرد ذلك ببساطة إلى قلة عدد الكتاب لدينا بالإضافة إلى قلة المتخصصين في هذا المجال ، لأن الكتابة لأدب الطفل لا تكفيها الموهبة كما أشرت ، بل لابد من المعرفة المتمثلة فى الاتصال بنتائج الدراسات فى العلوم الإنسانية المختلفة ، ولابد من الخبرة بهذه المرحلة العمرية التي على أساسها نبنى أجيالنا ورعاة أمتنا وأوطاننا فى المستقبل ، وهم يمثلون مايقرب من ٥٠% من عددنا ، بل إن جانبا مهما فى الكتابة لأدب الطفل يتمثل فى تقديم نتائج العلوم التجريبية والتكنولوجيا ، وهو ما يفتقده الكثيرون من هذه القلة التى تتصدى للكتابة فى أدب الطفل ، فهم متصلون بالعلوم الإنسانية النظرية ، دون العلوم التجريبية والتكنولوجية ، وهى القسمة التي يقوم عليها نظامنا التعليمي ، من ثم فلابد من الاتصال والتآزر بين الجانبين ، فغنى عن البيان مدى أهمية العلم والتكنولوجيا فى حياتنا ، وأهمية اتصال أطفالنا بذلك ، خلال نظرة إسلامية تدرك خير الإنسان وقيمته وكرامته ، وأن هذه العلوم والمعارف مسخرة له ليعمر هذا الكون ، ويحقق واجب الشكر والطاعة والعبادة لله تعالى .

من هنا فإن واجب الكتاب المسلمين فى أدب الأطفال خطير حيث يجب الربط بين الفكرة العقدية والفكرة العلمية وغيرها ، خلال الصياغة الأدبية المناسبة لتربية الطفل بهذا الأدب الإسلامي ، لتغذية فكره وإمتاع وجدانه وصقل سلوكه ، وتنمية مواهبه ، ومن ثم فإن لونا جديدا من القصص هو " قصص الخيال العلمى " جدير بأن نهتم به ، ونقدمه لأطفالنا ، لما فيه من وصل لهم بالمنجزات العلمية ، والتنبؤ بها ، عن طريق سعة خيالهم ، وإذكاء نظرتهم المستقبلية .

لذلك فما أقل ما يكتب محققا لأدب الطفل عمريا وفكريا وفنيا وتربويا بالإضافة إلى قلة العائد المادي ، مما لا يشجع على الكتابة والتأليف للأطفال وذلك نتيجة لقلة الإقبال على مثل هذا اللون من الكتب ، فمايزال الاهتمام بالكتاب غير المدرسي للطفل قليلا جدا فى أكثر بيئاتنا ، بل فى مدارسنا التى يجب أن تخصص حصة على الأقل أسبوعية للمكتبة ، وأن يكون للقراءة الحرة الموجهة فى المدرسة الابتدائية نصيب واضح فى

مناهجها وخططها ، وأن يقوم المنزل بتشجيع ذلك ، بل ويختار الكتاب الملائم للطفل .

ونتمنى أن تولى كثير من ***المؤسسات*** الاهتمام بذلك الجانب الخطير ، فترصد من المكافآت لكتاب أدب الطفل ما يشجعهم على ذلك ، كما نرجو من أهل الخير أن يولوا طبع هذا الإنتاج الاهتمام اللائق به .

وربما كان فيما يبذله قسم الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وما تبذله رابطة الأدب الإسلامي العالمية فى هذا المجال قدوة للخيرين الراغبين مؤسسات وأفرادا .

ويعد مشروع " القراءة للجميع " الذى تنشره وتتابعه مصر بين أطفالها ، مقترنا بنشر مكتبات الأطفال فى ربوعها ذو أثر فاعل متميز ، خاصة وأن هذا المشروع يحظى برعاية السيدة سوزان مبارك وتشجيعها الدائم له ، هذا بالإضافة إلى ما تصدره الهيئة المصرية العامة للكتاب فى مصر من كتب للأطفال ، وغيرها من المؤسسات الأهلية .

ولايمكن أن ننسى تعاون " اليونيسيف " مع كثير من الدول العربية فى مجال ثقافة الطفل والرقى بأدبه وحبذا لو ضاعف المسؤولون من هذا الاهتمام ، علّه يعوض أطفالنا بعض ما ينقصهم فى هذا المجال .

وإن ما تقيمه بعض المؤسسات من مسابقات فى أدب الطفل والكتابة له لجديرة بالتقدير" كمركز معلومات الأم والطفل فى البحرين " و " جمعية أم المؤمنين النسائية " فى دول الإمارات العربية المتحدة و " مركز ثقافة الطفل " بالقاهرة ، و " مركز الطفل بمكتبة الملك عبد العزيز بالرياض " و " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " ، وغيرها .

وبرغم أن فى الدول الغربية قد سيطر التوجه التجاري على كتب الأطفال مع اتساع النشر ، لكن القيمة الفكرية ، والفائدة التربوية ، والمتعة الفنية ، وغير ذلك مما تحققه كتب أدب الأطفال لم ينتقص ، بل بالعكس اتجه التوجه التجارى إلى تحقيق مزيد من جذب الأطفال لهذه الكتب ، خاصة فى طريقة إخراجها وطباعتها ، وتنوع مادتها ، ومواكبتها السريعة

للمتغيرات ، وتحقيقها للرؤية المستقبلية فكريـــا ، وكـــد نتمنى أن يستفيد ناشروا أدب الأطفال وصانعوه لدينا من ذلك ، بشرط ألا تتجاوز كتب أدب الأطفال لدينا ما يتفق مع عقائدنا وديننا ، وأعرافنا السوية .

قصص المغامرات :

وثمة قضية تتعلق بمـــدى ملاءمـــة المغـــامرات والعنف والجريمة والسحر للطفل عندما يقدمها له الأدب الخاص به ، وهنا نشير إلى أن مرحلة الطفولة المتأخرة هى أنسب مرحلة لذلك ، على شريطة أن يكون عـــرض هذا العنف والمغامرات والجريمة والسحر وسيلة لتنفـــير الطفل منها ، لا أن يُرغبه العمل الأدبي فيـــها ، وذلـــك عندما يدرك أضرارها ونتائجها فى إفساد حياته . ولـــو قدمنا مثل هذه الأمور لغير مرحلة الطفولة المتـــأخرة ، لأسهمت فى إثارة مخاوف الأطفال وقلقهم واضطرابـــهم ، مما يترتب عليه آثار سيئة لديهم ، لذلك يجب ألا نقـــدم فى أدب الطفل لمرحلتى الطفولة المبكرة ، والمتوسطة ، سلاسل الألغاز والقصص البوليسية التى تتضمن كثـــيرا من المغامرات والعنف والجرائـــم ، وواجـــب الآبـــاء

والأمهات والمربين وغيرهم من الكبـــار ، أن يتدخلـــوا برفق فلا يسمحوا لأطفال هاتين المرحلتيـــن بالاتصـــال بكتب الأدب ، أو غيرها ، التى تقوم على عرض هـــذه الموضوعات المثيرة .

وناهيك بفعل المصباح وعلاء الدين وأمثالها فـــي الأطفال ، عندما تسوغ لهم الكسل والبعد عن العمل فـي تحقيق الآمال ، اعتمادا على السحر وخروج الجني مـن القمقم ، وفى المقابل يجب أن تحبب الأعمـــال الأدبيـــة للأطفال العمـــل والجـد والاعتمـاد علـى النفـس ، والاستقلالية كلما أمكن ذلك ، خاصة فى نهاية مرحلـــة الطفولة المتوسطة ، وكذلك فى مرحلة الطفولة المتأخرة إذ تتضح رغبة الأطفال فى الاستقلال عـــن الأســرة ، وتقوى فيهم الرغبة فى الاتصال بالعالم الخارجي.

ومن ثم فلابد لأدب الأطفال أن يشبع فيـــهم هـــذه الرغبة ، وأن يلبى هذه الحاجة وأن يحســـن توجيهـــها بأعمال أدبية تحثهم على العمل والجد والاستقلال .

توظيف الجوانب العقدية والأخلاقية والعبادات:

وهذا باب واسع يمكن أن يتضمن العقائد والأخلاق الإسلامية والعبادات عندما يوظف صناع الأدب الإسلامي للأطفال هذه الأمور فى أدبهم بصورة ترغب الطفل فيها ، وتشبع لديه اهتماماته من هذه الناحية ، كأن يعرف نعم الله عليه ، وما ذا يجب عليه نحوها ، من اعتراف بفضل الله علينا ، ووجوب شكره على ذلك، وخصوصية توجيه وخلوصها العبادات له سبحانه وتعالى وحده ، وأثر الأخلاق الحسنة فى سعادة الناس ، وحسن معاملتهم بعضهم مع بعض ، ويمكن بتقديم النماذج المتقابلة للشخصيات : السوية الخيرة ، والفاسدة الشريرة ، خاصة عندما تمثل الأولى الشخصيات الإسلامية ، بذلك يمكن أن نحقق هذه الغايات ونرسخها فى نفس الطفل وعقله ، وللشيخ أبى الحسن الندوى فى كتابه ": قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " الذي نشرته له رابطة الأدب الإسلامي العالمية – تجربة طيبة نافعة إن شاء الله فى هذا المجال .

ولدينا ما هو أعظم مصدرا إنه القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول (ﷺ) وسيرته العطرة ، وتراثنا الإسلامي حافل بكثير من نماذج البطولات ، والقيم التى يعتبر أطفالنا فى أمس الحاجة إليها ، فقصص الأنبياء مثلا تتضمن كثيرا من صور البطولة فى الثبات على الحق ، والدفاع عن المظلومين ، ونصرة الضعفاء ، وهى قيم تستحوذ على عقل الطفل ووجدانه فى كل مراحل عمره ، إذ تشبع اهتماماته ، وكذلك للأستاذ عبد التواب يوسف تجارب فنية متعددة فى هذه المجالات فيما كتبه من قصص وتمثيليات وتوجيهات لأدب الطفل.

وليس معنى ما سبق أننا ننتظر حتى مرحلة الطفولة المتأخرة بالنسبة لاتصال الطفل بالعقائد والعبادات والأخلاق ، كلا ، بل يجب أن يكون ذلك منذ نشأته عندما يتيح له إدراكه منذ مناغاته فى العام الثاني من عمره الاتصال بهذه العقائد والعبادات والأخلاق، وتختلف طريقة اتصاله بهذه الأمور من مرحلة إلى أخرى حسب مستوى هذا الإدراك ، فيمكن أن تكون هدهداته ومناغاته وسيلة لإدراكه حفظ الله له ، ورعايته ، وهنا تشكل النغمة وما تردده الأمهات فى

هذا المجال من أناشيد وأغنيات خفيفة أثـرا عظيمـا لـدى الطفل ، حتى إذا ما أوشك على الدخول فى مرحلة الطفولـة المبكرة ؛ يرتقى إدراكه ، من ثم تصبح القصص والتمثيليات والأناشيد الملائمة لهذه المرحلة من أهم الوسائل فى وصـل الطفل بالمعتقدات والعبادات والأخلاق وغيرها ، وهكذا فـى بقية مراحله العمرية ، بل ربما كان ترديد قصار السـور القرآنية فى نهاية مرحلة الطفولة المبكرة وبدايـة مرحلـة الطفولة المتوسطة من بين عوامل وصل الطفـل بالعقـائد والعبادات والأخلاق .

وما أشد غناء تراثنا فى هذا المجال إذ أحسن توظيفه واستثماره فى أدب الطفل ، فهاهو ذا كتاب " كليلة ودمنـة " يقبل عليه من أدباء الغرب الكثيرون وفى مقدمتهم لافونتيـن وجريم ، إذ يعيدون صياغته بما يلائم الأطفال فى مراحلـهم المختلفة ، بل ربما كان اطلاع الشاعر أحمد شوقي علـى أعمال لافونتين،من العوامل التى دفعته إلى محاولة الاستفادة من كليلة ودمنة فيما قدمه من قصص شعري ومنظومات فى الجـزء الثالث من ديوانه ، حتى إن الأستاذ عبد التواب يوسف جمـع هذه الأعمال أخيرا فى كتاب واحد سـماه "ديـوان شـوقي للأطفال "،وقدم له مقدمة إضافية فى هذا المجـال، وقـد

أصدرته دار المعارف فى مصر ، وقس على ذلك ألف ليلة وليلة ، التى يمكن أن نجد فى صالح قصصها ما يوظفها فى هذا المجال ، وغير ذلك من كتب التراث .

ولقد تعددت ***الوسائط والوسائل التى يستعين بها أدب الطفل*** من إذاعة مرئية ومسموعة ، وكتب ، ومجلات وأشرطة الفيديو ، وأجهزة التسجيل ، وبرغم أهمية الكلمة مقترنة بالصورة ، مما يجعل للمجلات الخاصة بالأطفال وكتبهم أهمية خاصة ، لكن هاتين الوسيلتين بحاجة إلى مزيد عناية شكلا ومضمونا وإخراجا ، فالمجلات تتميز بالتجديد والحيوية، فقد تكون أسبوعية أو شهرية ، وعلى سبيل المثال قد تكون بعض الرسوم المضحكة ذات قيمة تربوية ، كأن تبغض للطفل السلوك الشائن ، لكن ما فيها من جانب هزلي يتطلب الحرص فى توجيهه حتى لا يخرج عن غايته التربوية ، فيخلف للطفل أثراً سيئا فيما يفكر أو يعتقد ، وحبذا لو أصبحت هذه الرسوم تبتغى بدقة وعناية هدفا ساميا ، وفكرا سويا يبنى الطفل ولا يهدمه .

ولذلك فإن ما تقدمه مجلات الأطفال من مواد بحاجة إلى أن تراعى المرحلة السنية ، والأهداف التى يمكن أن تستقر فى عقل الطفل ووجدانه ، فلا يقدم ما يخالف معتقداته كمسلم ، أو ما يخرج عن بيئة الطفل الصالحة ، ولا تصدمه بتصوير ما يخرج عما ألف من خير تواضع عليه المجتمع والأسرة ، وأن تزكى فيه الاعتماد على النفس والمواطنة الصالحة ، وتصله بالجديد من المعارف الذى يعده لمستقبل الحياة ومتغيراتها، وأن ترقى بذوقه ولغته .

وماتقدمه بعض مجلات الأطفال من مسابقات يجب أن يكون محكوما بهذه الخطوط العامة للمجلة والتى لاتخرج فى مجملها عن الشرع ومايأمر به .

وحبذا لو روعى فى تقديم هذه المادة مراحل الطفولة المختلفة ، حتى يكون فى المجلة قسم لمرحلة الطفولة المبكرة ، وثان لمرحلة الطفولة المتوسطة ، وثالث للمرحلة المتأخرة ، وهكذا تشبع كل الأعمار تقريبا ، وتلبى احتياجاتها .

كما نتمنى أن يكون إخراجها الفنى محققا لكثير من المواصفات كعدم التعقيد،والتناسق بين الألوان،ووضوح الصور، وتناسب مكوناتها وكميتها .

أما كتب الأطفال فحبذا لو روعى فيها ما سبق أيضا ، بجانب أن تتميز مثلا كتب مرحلة الطفولة المبكرة بغلاف مقوى أو من الجلد ، حتى يتحمل استخدام ولعب طفل فى هذه المرحلة ، كما يجب أن تكثر فيه الصور ، وتقل كمية الكلمات التى سوف يقرأها ، وبصفة عامة يجب اقتران الكلمة بالصورة فى مختلف المراحل ، وفى تناسب عكسى ، بمعنى كلما كبر الطفل تزداد الكلمات وتقل الصور .

وإذا كانت وسائل الإعلام مشتركة بين الكبار والصغار ، فحبذا التنسيق ليقدم لكل منهما ما يعنيه ، وفى الوقت الذى يناسبه ، وبالمستوى الذى يلائمه ، وهنا نؤكد على واجب الأسرة فى تنظيم الوقت للأطفال ، بحيث لايتجاوزون البرامج المخصصة لهم ، والوقت الذى يمكن أن يستفيدوا فيه من هذه الوسائل ، ومما

يعين على ذلك الإعلان فى الصحف ومجلات الإذاعة عن هذه البرامج وأوقاتها للكبار والصغار .

وكم أتمنى من صناع أدب الطفل أن يتهيئوا التهيؤ المناسب دينيا وفكريا ونفسيا وعلميا ، وأن يتصلوا بتجارب الآخرين فى هذا المجال محليا وعالميا ، وأن يوثقوا اتصالهم بعالم الطفل وبيئته ، ليدركوا ما يهمه ، وما يمكن أن يشبع هذه الاهتمامات ، ولقد كان الشاعر أحمد شوقى ، يقرأ على الأطفال ما يكتبه لهم قبل نشره ، ليلمس أثره فيهم واستعدادهم لتقبله ، والتجربة نفسها يقوم بها بعض كتاب أدب الطفل اليوم ، المهم أن نعمل على تثبيت قيم الإسلام ، وأن نحببهم فى دينهم ولغتهم وأمتهم وأوطانهم ، وأن نساعدهم على مواجهة حياتهم بطريقة سوية تجنبهم التعقيد والمشكلات النفسية ، حتى يسهموا فى بناء أوطانهم والدفاع عن أمتهم عندما تحين ساعة تصديهم لمسؤوليات الأمة وقضايا الوطن .

بعض المراجع والمصادر :

1- Margrit R. Marshall an Introduction to the world at Childern . Book 2nd Edition P .60 61

2- انظر د. حسن شحاته : قراءات الأطفال الدار المصرية اللبنانية ص 65 ومابعدها.

3- انظر د. سعد أبو الرضا النص الأدبي للأطفال ط. رابطة الأدب الإسلامي العالمية سنة 1414هـ / سنة 1993 ص31.

4- السابق نفسه ص 33.

5- انظر د. هادى نعمان الهيتى : أدب الأطفال فلسفته وفنونه ووسائطه سنة 1986م الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 115 ، ص133.

6- انظر النص الأدبى للأطفال ص 38 .

7- انظر د. على الحديدى : أدب الأطفال مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة سنة 1976 ص 81 ، وكذلك انظر د. محمد عماد إسماعيل : الأطفال مرآة المجتمع ، سلسة عالم المعرفة الكويت سنة 1986ص 111 ، وكذلك انظر النص الأدبي للأطفال ص 29

8- انظر أدب الأطفال فلسفته وفنونه ووسائطه ص 115.

9- الطفل وعالمه الأدبى : د. عبد الـــرءوف أبـــو الـ ـعد ط1 دار المعارف القاهرة سنة 1994م.

10- علم نفس النمو : د. حامد زهران نشـــر عـــالم الكتب القاهرة ط6 سنة 1986م.

11- القاضى جحا : المسرح الشعرى للأطفال :أحمـــد سويلم مؤسسة الخليج العربى القاهرة سنة 1407 هـــ / 1987م.

12- مسرحيات الأدب العالمى للأطفال " الفطائر الخمس" ، " الرنين والدخان " : أحمد المغربى وعصام إبراهيم دار الفكـــر العربى القاهرة سنة 1991م.

13- مسرح الطفل : " حكاية لم تنته بعد " ، " حـــرب لا تنتهى " حازم شحاته منشورات الغالى المكتب للمعارف القـــاهرة سنة 1991م . علما بأن هذه المسرحيات بحاجة إلى إعادة النظر فى تشكيلها لتقويمها

14- النص الأدبي للأطفال أهدافه ، ومصادره ، وسـماته : د. سعد أبو الرضا نشر رابطة الأدب الإسلامي العالمية ط. دار البشير عمان الأردن سنة 1993 م.

15- النقد الأدبي الحديث :د. محمد غنيمـــى هـــلال دار نهضة مصر القاهرة ب. ت.

16- النمو الإنساني : د. محمود عطية حسين عقـــل دار الخريجى الرياض سنة 1996م .

أثر التربية الإسلامية في الطفل وأدبه

*حقاً إن التربية الإسلامية في صدر الإسلام جديرة بالفخر والاعتزاز ، لأنها راعت كثيراً من الشروط والملابسات التي حققت لها الفاعلية في تنشئة الطفل نشأة قويمة صحيحة ، ورعايته حتى يتجاوز هذه المرحلة بسلام ، ليدخل في مرحلة أخرى ، وهكذا ، فقد كفل الإسلام لكل مرحلة في حياة الإنسان ما يحقق لها فاعليتها .

من هذه *الظروف والملابسات لمرحلة الطفولة* ، اهتمام الإسلام بالطفل قبل ولادته ، فقد حرصت الشريعة الإسلامية على تحقيق الكفاءة بين الزوجين لينشأ الطفل في بيئة منسجمة تحقق له النمو السوي ، بل أكثر من ذلك ؛ فقد أوصى الرسول (ﷺ) بحسن اختيار الزوجة ، فهو القائل : " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " ، كما أوصى باختيار ذات الخلق القويم.

فإذا ماولد الطفل سن له الإسلام من الأصول والأسس ما يضمن له سلامة النشأة جسميا وعقليا ونفسيا وروحيا ، مثل جعله الرضاعة لمدة عامين ، لينشأ قوى الجسم ، كما علمنا الرسول (ﷺ) كيف نثرى الطفل وجدانيا ؛ فهو قد يصلى حاملا أحد سبطيه ، فإذا سجد وضعه ، وإذا قام حمله كما كان ، حتى لا يضايق الصغير ، أو يحرمه من حنانه عليه ، وبره به ، ، وفى الوقت نفسه قد يكون فى ذلك إيلاف الصغير لهذه الشعيرة ، وإن لم يتعقلها ، أو يدرك أركانها ، بل إنه قد لام رجلا يزعم أنه له عشرة من الولد ، ولم يقبل أحدهم أبدا.

وفى أركان الإسلام نجده (ﷺ) يحرص على التدرج في تعويد الطفل الصلاة فيقول : " مروهم بها لسبع ، واضربوهم عليها لعشر " .

بمثل هذا السلوك السوي ، وتلك السنن الرشيدة ***استطاع السلف الصالح تحقيق تربية سوية قويمة*** ، تبنى الطفل ، لكن كثيرا من هذه السنن غابت عن كثير

من الآباء والأمهات أو غُيِّبت ، إما لأنهم لم يهتموا بـها ، أو أن وعيهم قد قصر عن استيعابها ، أو أن نمط حياتنـا نفسها قد ابتعد عن ذلك ، فلا وسائل الإعلام قد حرصـت على نشر تلك الأسس والمفهومات ، ولا كتب التربية قـد تضمنت ذلك ، ولا توجيهات الموجهين ونصائح المربيـن قد أشارت إليه ، اللهم إلا القليل ، بالإضافة إلى أن النمـط الغربي في هذا المجال قد مكنت له الفضائيات ببرامجـها الكثيرة المتنوعة تمكينا قويا ، بوسائل لاحصر لها ، لذلـك يجب أن نعيد النظر فى نظـام تربيتنا لأطفالنا ، وما يقدم لهم من علوم ومعارف ونصوص أدبية ، على أن يكـون فى مقدمة ذلك ارتباطهم بكتاب الله العزيز.

* *أما كيف نعود أطفالنا التعلق بالقرآن الكريم بصفـة خاصة وحب القراءة منذ الصغر بصفة عامة* ، فإن أول ما ينبغي في هذا المجال أن توجد بكـل مـنزل مكتبـة متواضعة ، وتصبح نسخ القرآن الكريم على رأس هـذه المكتبة ، بذلك تصير القراءة فى كل بيت كالطعام لكـل من فيه ، قبل أن يكون لها فى المدرسة وقتها الخـاص بها في جميع مراحل التعليم ، وما أعظـم مشـروعات

نشر القراءة ومسابقاتها فى عالمنا العربي التي تـــؤازر بها مؤسسات المجتمع المدنية جهود البيت والمدرسة في هذا المجال . وحبذا لو أصبح القرآن الكريم عماد هـــذه القراءة ، فيردد الصغار بعض مفرداته ، كمـــا تصبـــح قصار السور مادة لهم يحفظونها ، وكم نتمنى أن تصبح أشرطة القرآن الكريم بأصوات المشهورين من القـــراء في عالمنا العربي هي ما يقدم لهؤلاء الأطفال الصغار ، فيستمعون إليها في المنزل والمدرسة والمسجد والإذاعة مرئية و مسموعة فى السيارة والطريق ، وفى بعـــض أوقات فراغهم . وأن يرصد من الجوائز والمكافآت مـــن المسابقات المختلفة في مجال حفظ القرآن الكريم وتلاوته خاصة ، والقراءة بصفة عامة ما يشجع أطفالنا وأبناءنـــا للإقبال على ذلك ، والتنافس فيه .

وهنا نؤكد على أهمية المكتبات فـــي المـــدارس والأحياء المختلفة . ، وإثرائها بمختلف أنـــواع الكتـــب التي تنهض بالطفل معرفيا وثقافيا وأدبيا وعلميا ، مـــن ثم تتجلى هنا أهمية العناية بكتب الأطفال وتنوعها مـــادة ، وصورة ، وأوراقا وغلافا وطريقة وحجمـــا وثمنـــا ،

تصبح ميسورة للأطفال وذويهم ، وألا يعرض في سوق النشر إلا الكتاب الملائم ، القادر على تحقيق ما يناط به بالنسبة للطفل في المرحلة السنية المحددة له .

*ولقد أصبحت الفضائيات اليوم تنافس الكتاب المقروء ، خاصة الكتاب الإلكتروني ، بالإضافة إلى المسلسلات التي تصوغ فكر الطفل ووجدانه ، كما توجه سلوكه ، خاصة أن كثيرا من هذه البرامج التي تبث عن طريق الفضائيات أجنبية ، وقد وجدت لبيئة غير بيئاتنا ، وأطفال غير أطفالنا ، وعادات وتقاليد غير ما اعتدناه ، ونظرا لرخص أسعارها بالنسبة للمحلى لدينا ، فقد تضاعف الإقبال عليها دون النظر إلى مدى ملاءمتها لأطفالنا وبيئاتنا ، والأهم من كل ذلك تجاوزها لما يجب أن يراعى فيما يقدم لأطفالنا عقديا وفكريا ، فإذا كنا حريصين على بناء أطفالنا بناء سويا فيجب أن نعيد النظر فيما يقدم لهم عن طريق هذه الفضائيات حتى نختار – بأي وسيلة – ما يمكن أن يناسبهم ، وأن تكون هناك أوقات خاصة بالأطفال ، حتى تؤدى الأسرة رسالتها المنوطة بها في تربية الطفل وتنشئته وتوجيهه

الوجهة السليمة الصحيحة ، لا أن نتركه نهبا لهذه الفضائيات وبرامجها الهدامة ، فللأسرة دورها ورسالتها ، وللمدرسة دورها ورسالتها ، وللبرامج المرئية والمسموعة ، وقتها وأهدافها تعليما وترفيها وتوجيها .

*وربما كان إهمال ما سبق من أهم ***أسباب عدم تكيف أطفالنا مع الحياة*** ومتغيراتها من حولهم ، ذلك أن التقدم المعرفي والتكنولوجي الذي يتصلون به ، وتموج به الحياة من حولهم في المنزل والمدرسة والشارع ، قد جعل الطفل اليوم أكثر معرفة وربما أكثر ذكاء من طفل الأمس ، لكنه يجد صعوبة في مواجهة الحياة بمتغيراتها ، وذلك للهوة السحيقة بين ما يقدم إليه من برامج وكتب ومعارف ، وما يجب أن تكون عليه هذه البرامج وتلك الكتب والمعارف من رعاية لبيئة الطفل العربي المسلم وربطه بماضيه ربطاً يجعله يتلاءم في يسر وسهولة مع حاضره ، دون أن يفقد جذوره ، أو يبتعد عما يدور حوله ، وما يقع من متغيرات فى الحياة وذلك ما يجب أن يوضع فى الاعتبار ونحن نعد

لأطفالنا الكتب أو البرامج ، أو المسلسلات أو نختارها لهم .

ولا أتصور اليوم أن يوجد أديب قادر على الكتابة للأطفال ويتوانى عن أداء هذه المهمة الإنسانية ، بعد أن تجلت أهمية رعاية الطفل وتنشئته النشأة الصالحة التي يسهم فيها البيت والمدرسة ، والمجتمع بمؤسساته المدنية والحكومية ، خاصة وقد أصبح لكتب الطفل والكتابة لهم تلك المنزلة والأهمية فى كل أرجاء العالم ، بل لقد أصبحت دور النشر ومؤسساته على مستوى العالم تتبارى فى ذلك ، من ثم فالمسهم الآن أن يوجد الكاتب المؤهل القادر ، فأولئك قلة فعلاً ، نظراً لأن تأهيل كاتب للأطفال يتطلب الخبرة والمعرفة الإنسانية فى كثير من المجالات التى منها: علوم الدين ، واللغة والعلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع ، وعلم الجمال ، وأن يحيط الكاتب بحياة الأطفال أنفسهم الذين يكتب لهم، كما يتصل بالعلوم العملية التي يمكن أن تعينه على كتابة أدب الخيال العلمي ، بل يكون قادرا على الاتصال بما

بصدر للأطفال على مستوى العالم .. مثل هذا الكـــاتب هو ما نحتاج إليه .

وفى الوقت نفسه فإن العائد المادي لكـــاتب أدب الأطفال يجب أن يضمن له حياة حرة كريمـــة ، تعينـــه على أداء المهمة التي هيأ نفسه لها ، وأن تولى الـــدول ومؤسساتها المعنية ، والناشرون هذه الناحيـــة اهتمامـــا خاصا يليق بهذا العمل الإنساني العظيم ، وهو الإســـهام في تنشئة الطفل الصالح القويم ابن اليوم ورجل الغد .

ولكي يعيش أطفال اليوم حياتهم بصورة ســـوية لابد أن يقدم لهم من الأدب والعلوم والمعارف ما يشـكل ثقافتهم الخاصة ، التي تعينهم على التلاؤم السوي مـــع الحياة ، ومواجهة متغيراتها ، وتنمية وعيهم ، وإثـــراء ثقافتهم بما يكفل لهم حياة سوية صالحة ، من ثم يراعـى فيما يقدم لهم اتصاله ببيئتـــهم ، وإشـــباعه لحاجاتـــهم ، وتحقيقه لطموحاتهم ، وإسهامه في حل مشاكلهم، وقبـــل كل ذلك وصلهم الوثيق بأمور دينهم وعقيدتهم .

ومن هنا فدور شركات الإنتاج الفني ومؤسسات النشر المختلفة خطير لأنها مسؤولة عن إخراج البرامج التي تناسب المراحل المختلفة للطفولة ، كما تقدم المسلسلات الملائمة لذلك ، بالإضافة إلى نشر الكتاب المناسب للطفل حسب المرحلة السنية ، من حيث القيم والمبادئ ومستوى المعلومات التى يتضمنها والكيفية التى تقدم بها مختلف المعارف والعلوم والآداب والنصوص الأدبية شعرا وقصة ومسرحية .

ولا شك أننا إذا استطعنا أن نوفر للطفل البرنامج المناسب والمسلسل الملائم ، والكتاب النافع المفيد له ، والرسوم المتحركة المناسبة حسبما أشرنا سابقا ، فإننا بذلك نستطيع أن نحصن الطفل العربي المسلم ضد مايتهدده من غزو فكرى وتجاوز عقائدي ، وتشويه أخلاقي .